تاريخ استقبال المقال:../../2018 تاريخ قبول نشر المقال:../../2018 تاريخ نشر المقال: 2018/03/31

المدن الصحراوية بجنوب المغرب من نسق البداوة إلى ضرورة التحضر

نظرة على التحولات الاجتماعية والعمرانية

The desert cities of southern Morocco from the style of Bedouin to the need for urbanization

-a look at the social and urban transformations-

الأستاذ الباحث : محمد الصافي
أكاديمية جهة كلميم واد نون - المملكة المغربية
البريد الاليكتروني : essafi_10@hotmail.com

ملخص:

ظلت المدن الصحراوية بجنوب المغرب منغلقة على ذاتها وقتا من الزمن بحكم العادات والتقاليد التي نشأ عليها المجتمع في تلك المدن وكذا الأعراف التي تسيرها، غير أن تيار التطور في العالم المعاصر فرض واقعا جديدا جعل المدينة الصحراوية تنفتح على غيرها دون شروط أو قيود، شأنها في ذلك شأن الدول المتأخرة، وقد أدى هذا الانفتاح اللامشروط إلى حدوث تحول اجتماعي مغاير عما كانت عليه هذه المدن سابقا، حيث بدأت تظهر ملامح التغيير في الطابع العمراني والبنية الاجتماعية المرتبطة أساسا بمختلف العلاقات والعادات وحتى المعتقدات. فمسايرة المدن الصحراوية لوتيرة التحضر جعلها تنتقل طواعية من ماض اجتماعي منغلق إلى حاضر يتفاعل مع مفهوم العصرنة، التي أكسبت المجتمع نمطية مغايرة في الحياة تجلت في ظهور سلوكات وممارسات جديدة أحدثت نقلة نوعية في سمات المجتمع الأصلي.

- **الكلمات المفتاحية**: المدن الصحراوية، البداوة، التحضر، الأسرة، العمران

Abstract:

The desert cities of southern Morocco have been closed for a while due to the customs and traditions of the society in these cities as well as the customs it operates. However, the current trend of development in the modern world has made the desert city open to others without conditions or restrictions, Such as the late states. This unconditional openness has led to a social transformation that is different from that of the former cities. The changes in the urban character and social structure that are related mainly to different relations, customs and even beliefs have begun to emerge. The march of the desert cities to the pace of urbanization made it move voluntarily from a closed social past to a present that interacts with the concept of modernization, which earned the society a different stereotype of life manifested in the emergence of new behaviors and practices that caused a qualitative shift in the characteristics of the original society.

Keywords*: Desert Cities, Nomadism, Urbanization, the family, Construction*

مقدمة:

ظلت المدن الصحراوية بجنوب المغرب منغلقة على ذاتها وقتا من الزمن بحكم العادات والتقاليد التي نشأ عليها المجتمع في تلك المدن وكذا الأعراف التي تسيرها، غير أن تيار التطور في العالم المعاصر فرض واقعا جديدا جعل المدينة الصحراوية تنفتح على غيرها دون شروط أو قيود، شأنها في ذلك شأن الدول المتأخرة، وقد أدى هذا الانفتاح اللامشروط إلى حدوث تحول اجتماعي مغاير عما كانت عليه هذه المدن سابقا، حيث بدأت تظهر ملامح التغيير في الطابع العمراني والبنية الاجتماعية المرتبطة أساسا بمختلف العلاقات والعادات وحتى المعتقدات.

فمسايرة المدن الصحراوية لوتيرة التحضر جعلها تنتقل طواعية من ماض اجتماعي منغلق إلى حاضر يتفاعل مع مفهوم العصرنة، التي أكسبت المجتمع نمطية مغايرة في الحياة تجلت في ظهور سلوكات وممارسات جديدة أحدثت نقلة نوعية في سمات المجتمع الأصلي، الذي أضحى يعاني من مظاهر صراع بين ما هو قديم متوارث وحديث يجب التأقلم معه، بدءا بالطابع العمراني وانتهاء بأبسط سلوك اجتماعي يمكنه أن يحدث القطيعة مع ما هو متعارف عليه. لقد جعل الإنسان الصحراء مكانا للاستيطان فأنشأ بها أماكن استقرار وظيفية وبيئية بامتياز بتكيفها مع المناخ، واستحدث من خلالها نظاما للتبادل وحقق انسجاما في الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي تضمن له البقاء والتأقلم مع محيطه، وبالتالي فإن العمران في الصحراء له جذور تاريخية عميقة جدا.

إن ما يميز المجتمع الصحراوي عامة أنه أكثر محافظة من غيره لكونه ظل متشبثا بعاداته وتقاليده، نظرا لطبيعة البيئة التي تفرض نوعا من الانغلاق، فما اعتاده الناس أن العيش في المدن الصحراوية يتسم بالصعوبة والمشقة بسبب عامل المناخ والطابع العمراني المتميز، كما أن عامل البعد وطول المسافة بينها وبين أقرب منطقة في الشمال يجعلها في تصور الناس مكان منعزل يفرد مجتمعه بخصائص قلما تتوافر عند المجتمعات التي تقطن في المدن الساحلية وكذا الداخلية.

فتيار التغيير لم يستثني أحدا سواء أكان في الصحراء، المدينة أو البادية، لأن معايشة ثورة المعلوميات بات أمرا محتوما لكونه غزى عقول الداني والقاصي من الناس الذين وجدوا في ظل هذا الواقع الجديد متنفسا لما كانوا يشعرون به من ضيم وتقهقر بسبب الانغلاق على الذات، والذي عانى منه الفرد وهو يتقيد بالأعراف الاجتماعية بطابعها السلطوي، ولم يكن للمجتمع الصحراوي أن ينكفئ على نفسه وينغلق على ذاته نظرا لهذا الغزو الفكري والثقافي المتسارع والجارف لكل فرد وأسرة، حيث بدأت بوادر التغيير في المجتمع الصحراوي الذي انفتح مجبرا على غيره واكتسب سلوكات وعادات لا عهد لها من قبل، فما حدث مثلا للأسرة في المدن الصحراوية هو أشبه بذلك التحول الذي حدث للأسرة العربية حينما انفتحت على الغرب في مطلع القرن السابق.

سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبين مظاهر التغير الاجتماعي والعمراني الذيساير عملية التحضر في المدن الصحراوية بجنوب المغرب، كما سنعمل على توضيح مختلف الآثار الناجمة عن هذا التغير وكيف أنها أسهمت في تغيير ملامح المدينة شكلا ومضمونا.

.في مفهوم البداوة والسمات الأساسية لنظام البداوة:

1. مفهوم البداوة:

إن المعنى الضيق للبداوة هو الترحال بحثا عن المرعى، أما مفهومها الواسع فيعني نمط عيش وعلاقات اجتماعية ونظرة إلى العالم، فالبداوة ترحال ونظام قبلي واقتصاد رعوي/ معاشي وعلاقات قائمة على الأعراف والتقاليد المتوارثة. ونقيض البداوة هو العمران - حسب التعبير والمصطلح الخلدوني - القائم على الثبات والاستقرار وعلاقات قائمة على ضوابط اجتماعية وحقوقية مكتوبة، فالدولة شكله الحقوقي والسياسي ووفرة الإنتاج والتراتبية الاجتماعية خصائصهما الاقتصادية والاجتماعية (مسعود، 1986، ص 7). ويبقى أن الظروف الجغرافية هي التي تفرض حالة البداوة، فهي ليست مستوى تطور للبشرية أو عصورها الأولى كما يقول بذلك التطوريون Les évolutionnistes، فالبدوي ليس متخلفا عن الحضري بل يعيش في ظروف تختلف عن ظروفه، لذلك لا يمكن تفسير البداوة لا بالتعلق الأعمى بالتقاليد ولا بحالة اجتماعية تسمى التخلف، بل بعدم قابلية كل مشروع للحياة، يقول النقيب "لوهيرو" (Le capitaine Lehuraux) في معرض حديثه عن السكان نصف البدو: "تفرض تنقلاتهم في الحقيقة قوانين مناخية ثابتة، وهي ليست بالنسبة لهم مجرد تقليد يتعلقون به، بل ضرورة حياتية، إن بقاءهم في إطار الحياة الرعوية البدائية يجد تفسيره في عدم إمكانية معالجة طبيعة الأمراض الصحراوية ليتمكنوا من الإقامة بشكل دائم من خلال استغلال الأرض" (Lehuraux, 1930, p 445). ويحدد الباحث "أوبين" (Aubin) البداوة في ثلاثة عناصر وهي: الوحدة البشرية/ التنظيم القبلي، وجود القطيع/ اقتصاد رعوي، الانتقال الدوري في رحلة ثابتة ومسالك مضبوطة/ الانتجاع (Aubin, 1974, p 124).

ولنأخذ هذه العناصر الثلاثة بالاستناد إلى بدو الصحراء، فالفريق المتنقل يشكل مجتمعا صغيرا متجانسا نسبيا، فإما أنه يشكل قبيلة بكاملها وإما فرعا أو فروعا لها، وتربية الماشية أو نقص المراعي على الأقل هي التي تفرض التنقل، فالقطيع هو المورد الرئيسي لأنه يسمح بإنتاج اللحوم والصوف والجلود، ويسمح بالتالي بشكل غير مباشر بالحصول على الحبوب الضرورية بواسطة التبادل، لذت يحتل القطيع مكانة أساسية في حياة البدو، ونظرا لغياب العلف الاصطناعي فإن التنقل يوفر للقطيع الغذاء الضروري لاستمراره. ولا نعتقد أن البدو يهيمون على وجوههم في الصحراء، بل يتوجهون دوريا نحو مراعي تتجدد ونحو ينابيع مياه يعرفونها، فالبدو لا يتنقلون بشكل عشوائي بل يتبعون مسالك محددة بوضوح (Masqueray, 1894, p 69).

وينشأ الانتجاع من اختلال جغرافي ومناخي بين المناطق الغنية والمطيرة في الشمال والمناطق الفقيرة والصحراوية للجنوب أين تصبح الحياة مستحيلة بسبب شدة الجفاف، فضحالة الموارد المحلية تدفع بقبائل الجنوب إلى تنقلات مستمرة بهدف البحث عن وسائل العيش الضرورية للحفاظ على حياة البشر والماشية، ويتشكل الانتجاع من مجموع التنقلات الدورية التي تخضع للدورات الفصلية وفقا لقوانين شبه ثابتة، وهو مناسبة كذلك لعديد الاتصالات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية.

هذا ويعرف الدكتور إحسان محمد الحسن مصطلح البداوة على النحو الآتي: "يستعمل هذا المصطلح في وصف طبيعة حياة الناس الذين يعيشون في الصحاري ويسكنون في الخيام ويتجولون من مكان لآخر بحثا وراء العشب والماء" (إحسان، 1999، ص 123 - 124).

وفي إطار تحديد هذا المفهوم نجد أن ابن خلدون يرسم صورة تعريفية للبداوة والإنسان البدوي، بقوله: "أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر..." (ابن خلدون، 1999، ص 96).

من خلال ما سبق يظهر لنا من الوهلة الأولى أن ظاهرة البداوة تتداخل مع ظاهرة الهجرة، ولكنهما يختلفان في ذات الوقت، لأن ظاهرة الهجرة تفرض في أدنى مستوياتها لونا من التماس الحضاري والاحتكاك الاجتماعي، في حين البداوة تدور في أفق حضاري واحد متماثل، حيث البداوة تنقل المقومات المادية من بشر أو نظم اجتماعية معها أينما حلت وارتحلت، فنقلها نقل كمي لا نوعي بينما نجد الهجرة يكون فيها النقل نوعي، حيث ينتقل المهاجر من نمط حياة إلى نمط أخر ومن نوع من العلاقات إلى نوع آخر (صابر، لويس، ص 18 – 19).

وبناء عليه عدت البداوة نمط حياة مكنت البدو من أن يتجولوا في الأرض بحرية من غير عوائق، لذلك هم ملكوا الأرض ولم تملكهم، فالبدوي له مطلق الحرية في اختيار الأرض التي يرعاها بما فيها من ماء وكلأ، كما أن البداوة مكنت البدوي من أن يبرع في المقاتلة والمدافعة وأن يحسن استعمال رمحه حتى صار له حصنا وملاذاً.

وفي ذات الاتجاه نجد لدى ابن خلدون أن البداوة هي نتاج للظروف الطبيعية التي يحياها الناس، وأن الطبيعة وحدها هي التي فرضت عليهم الترحال وحددت نمط معيشتهم، وعبر عن ذلك بقوله: "اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما باختلاف نحلتهم من المعاش... فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والمسارح للحيوان وغير ذلك" (ابن خلدون، 1999، ص 96).

2. السمات الأساسية لنظام البداوة:

يؤكد تطور المجتمعات الصحراوية على عمق انتشار نظام البداوة في تاريخها القديم والحديث والمعاصر، ولا زالت السمات البدوية شديدة الوضوح في كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية لهذه المجتمعات، على الرغم من مرور سنوات طويلة من تحولها من الترحال إلى الاستقرار، وهذا يعني أن عملية التطور من البداوة إلى الحداثة تتسم بالبطء الشديد نظرا لطول الفترة التي انقضت على استقرار البداوة في هذه المجتمعات، فنظام البداوة مرحلة تاريخية طويلة تستمر طالما أن الإنسان الصحراوي لا يمتلك القدرة على ترويض الصحراء التي يسكنها، أي أن نظام البداوة لا يتحدد زمنيا بشكل قطعي بل يشكل إحدى حالات تكيف الإنسان مع الطبيعة الصحراوية القاسية، وهذا التكيف يتميز بسمات أساسية منها (بوشنفاتي، 1988، ص 123):

.عدم القدرة على المجابهة المباشرة مع الطبيعة، مما يحتم التحايل عليها

.اليقظة الدائمة للحفاظ على قاعدة الإنتاج الأساسية (الرعي، الماشية)

.التقيد الصارم بتوجهات أصحاب الخبرة والدراية المتوارثة أي شيوخ القبائل وسرعة الحركة والتنقل

.الاحترام المطلق للأعراف والتقاليد، وإلا فقد الحماية الداخلية القبلية، وهي الحماية الوحيدة المتوفرة له، لأنه لا يقيم أية علاقات أخرى خارج القبيلة.

. وضع كل الإمكانيات البشرية البدوية لحماية قاعدة الإنتاج الوحيدة (الماشية) وذلك لاعتبارات حياتية تؤدي لزوال المجتمع البدوي نفسه، وكانت بعض القبائل النافدة تضيف إلى هذه القاعدة الإنتاجية مردودا آخر يقوم على حراسة القوافل التجارية لقاء كميات معينة من النقود.

.التضامن العائلي في الحرب والسلم والتزاوج الداخلي شرطان ملازمان للنظام الاجتماعي في البداوة سواء المترحلة أم المستقرة على أرض ثابتة.

ويستتبع تحديد نظام البداوة تحديد اقتصاد الرعي (الماشية) الذي يرتكز إليه، فنظرا لانعدام الزراعة في الصحراء إلا في بعض الواحات، فإن النشاط البشري يتجه حصريا إلى هذا الاقتصاد المتمحور حول تربية الماشية، وأهم الحيوانات من حيث المنفعة الاقتصادية في الصحراء هي الإبل والماعز والأغنام والخيول، فالجمل هو رأسمال البدوي الأساسي وقاعدة إنتاجه، يستفيد من لحمه وحليبه ووبره للمأكل والمشرب والملبس، كما يستخدمه في تنقلاته وهذا ما جعلهم يطلقون عليه لقب "سفينة الصحراء".

القاعدة الأساسية لنظام البدو تقوم على حماية الإنتاج البسيط أي المرعى (الماشية) فتتجند كل طاقات القبيلة وتحالفاتها في سبيل تأمين هذه الغاية، أما في الواحات فيعهد إلى السكان هناك ببعض المهام الزراعية مقابل حماية البدو لهم من الاعتداء عليها، وكان لصمود القرى في الواحات واستقرار البدو هناك بشكل دائم أثر مهم في تبدل نظام البداوة نفسه، حيث سارعت بعض القبائل إلى إقامة علاقات وثيقة بين إنتاج الواحات وإنتاج البداوة المترحلة، بقصد تأمين الحبوب والخضر والاعتماد الأساسي على الزراعة كمصدر مهم من مصادر العيش، وبدأ البدو الرحل يستبدلون ماشيتهم بعض السلع الزراعية المنتجة في الواحات أو المستوردة إليها من المدن (الشناوي، 2008، ص 142).

هكذا بدأت الواحات تتحول تباعا إلى مراكز سكن دائم في وسط نظام البداوة الصحراوية المتنقلة، ولم يكن بمقدور البدو المستقرين في الصحراء الاهتمام بأعداد كبيرة من الماشية لاسيما الإبل والأغنام، بل كانت قلة الماشية سمة مرادفة لاستقرار البدوي وانتقاله إلى حياة التحضر، وبرز بالتالي شكلان من أشكال الإنتاج داخل نظام البداوة الصحراوية وهما (شرقي، 2009، ص 87):

* البداوة المترحلة: سمتها الأساسية أن جهد الإنسان يوظف فقط في تلبية الحاجات المعيشية الأساسية لساكن الصحراء، أي أن تزايد الإنتاج بقصد الربح والتجارة بقي في حدوده الدنيا، وهذا ما يفسر فقدان الاحتياط الإنتاجي في المجتمع البدوي، ومرد ذلك إلى سيطرة اعتبارات أساسية ذات صلة وثيقة بحياة البداوة المترحلة التي تخضع دوما للعامل الجغرافي ومحاولة التكيف معه.

* البداوة المستقرة: حيث يوظف جهد الإنسان بشكل منظم في تضخيم الإنتاج بهدف العيش من جهة، والتبادل التجاري من جهة أخرى، لذا ترتبط بالبداوة المستقرة سمات الإنتاج المنتظم وإقامة العلاقات الثابتة على الأرض ونشوء مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد والمؤسسات

والأفكار التي يطلق عليها عادة بـ"الثقافة البدوية"، وهذه الثقافة ليست حكرا على بدو الواحات، بل تعتبر في أساسها من سمات البداوة المترحلة، لكن عامل الاستقرار يعطي هذه الثقافة إمكانية التفاعل الداخلي والخارجي فتسهل دراستها والتعرف إليها ورصد كافة جوانبها.

فالبداوة المستقرة مرحلة تاريخية واضحة في عملية الانتقال الاجتماعي من الترحال إلى الاستقرار، ولا زال الكثير من الكتاب يدمج بين البداوة المترحلة القائمة على الرعي وبين البداوة المستقرة القائمة على الإنتاج الزراعي وتربية الماشية، كما أن البداوة المستقرة هي إحدى مراحل حياة الريف وولادة المجتمع المديني الحديث، وقد حارب الإسلام بقاء البداوة المترحلة بعد قيام الدولة الإسلامية، ونعت هذه البداوة بالجاهلية التي لا تقتصر فقط على الجانب الديني، والسبب في ذلك أن القبائل شكلت التربة الصالحة لدعوات الردة والعصيان ضد السلطة المركزية.

3. من البداوة إلى الدولة البدوية:

يعتقد الكثير من الباحثين أن البدو تجمع بشري يعيش مرحلة تاريخية تفتقر إلى مقومات البناء الحضاري الثابت، فالبدو خاصة الرحل منهم يتميزون بعدم الثبات على أرض معينة يقيمون عليها آثارا حضارية مميزة، وقد تميزت المجتمعات البشرية القائمة على المشاعية البدائية بضعف المردود الحضاري الثابت، إذ أن نمط حياتهم يقوم على أساس اقتصاد الحياة اليومية، أما علاقتهم بالأرض الشرط الضروري لبناء أية حضارة، فهي علاقات غير مستقرة، وفي الوقت نفسه فإن علاقات البدو فيما بينهم تحكمها سلسلة من الأعراف والتقاليد المتوارثة وغير المكتوبة، وتأتي مرحلة القبيلة في مرتبة أعلى من مرحلة المشاعية البدائية أو الشعوب البدائية لترسي ركائز الاستقرار على أرض معينة، وتبني اقتصادا قائما على الزراعة، ولا تلبث هذه المرحلة أن تقود إلى مجتمع ريفي ومنه إلى مجتمع مديني، مع تمركز السكان في مكان ثابت يقيمون علاقات إنتاج صناعية وتجارية وزراعية ثابتة (الجميل، 1962، ص 162)، فالمجتمع البدوي القائم على القبيلة المستقرة يشكل مرحلة انتقالية بين المشاعية والبدائية، وانعدام التنظيم المكتوب وبين الدولة الحديثة وما يتبعها من قوانين وإدارة وتخطيط وسواها، فالدولة البدوية الأولى بنيت على أساس المؤثرات القبلية السابقة (بورقية، 1991، ص 120)، وقد تميزت هذه الدولة باندماج عناصر تكون القبيلة في سلسلة أحلاف القبائل التي شكلت الدولة الأولى، ففي حين كانت القبيلة تحاول الاستناد إلى لهجة واحدة وعرق واحد ودين واحد والانتساب إلى أرض معينة دون سواها، كانت ولادة الدولة البدوية الأولى أكثر شمولا، أو بتعبير أكثر دقة إن مقومات القبيلة لم تعد تصلح وحدها لبناء الدولة البدوية، على الرغم من أن السلطة السياسية لشيخ القبيلة الأكثر نفوذا كانت إحدى أكثر الركائز أهمية في ولادة الدولة البدوية (محجوب، ص 154).

ورغم أن بعض الكتاب الأوربيين قد اهتموا بحياة البدو وترحالهم وقبائلهم وعاداتهم وتقاليدهم، وقدموا معارف مهمة حول حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فإن منطلقاتهم المنهجية جعلتهم يعجزون عن فهم طبيعة تكوين المجتمعات البدوية الصحراوية (بن محمد، 2007، ص 167)، إذ كانوا يقيسون دوما تطور حياة البدو بما وصلت إليه الحضارة الأوربية نفسها، فالعلاقات الاجتماعية التي يقيمها البدو جديرة بالدراسة لذاتها، وليس لمقارنتها بأية علاقات في مجتمعات أخرى، ودراسة المجتمع البدوي يمكن أن تقدم إضافات علمية مهمة في مجالات متنوعة.

لكن هذه السمات التي شكلت ركائز المجتمعات البدوية باتت حجر عثرة أمام تطور هذه المجتمعات بعد استقرارها وقيام الدولة البدوية الأولى، وكانت هناك ضرورة حتمية للقضاء على القبيلة كشكل وحيد للتنظيم السياسي والاجتماعي، وذلك عند الانتقال إلى بناء الدولة الحديثة ومؤسساتها خاصة السياسية منها، لكن ما تجدر الإشارة إليه أن شكل الانتقال من البداوة إلى الدولة الحديثة لم يتم عبر القضاء على الأسس القبلية السابقة بأشكال قسرية، بل على أساس توظيف تلك الأسس في خدمة المرحلة الأعلى أي الدولة الحديثة.

.التحضر: مفهومه ومداخله النظرية ومميزات الظاهرة الحضرية:

1. مفهوم التحضر:

ويقصد به تلك العملية التي تتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية أو عن طريق هجرة القرويين للمدن المجاورة، بما في ذلك التغيرات التي تحدث لطابع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة في المدن (شوقي، 1981، ص 23).

وهناك تعريف آخر يشير إلى أن عملية التحضر تعني تمركز السكان في المدن، هذا ما يؤدي إلى تغير اجتماعي وثقافي وتدعيم الروح الفردية في العلاقات التي تصبح ثانوية بعدما كانت أولية في القرية (بومخلوف، 1999، ص 83).

ويذهب "أجون بيرجل" إلى أن التحضر هو بمثابة عملية في حين يعتبر الحضرية الحالة أو الظروف القائمة، بمعنى أن التحضر هو الجانب الدينامي المتحرك، في حين أن الحضرية هي الجانب الثابت والمستقر. ويعرفه الديموغرافيون على أنه عملية التمركز السكاني، وهذه العملية تتخذ طريقتين أساسيتين كما يرى "تزدال"، تتمثل الأولى في تعدد مراكز التجمع أي نمو مراكز حضرية متعددة، في حين أن الطريقة الثانية التي تتخذها عملية التحضر تتمثل في نمو التمركز السكاني الفردي، بمعنى زيادة حجم السكان في قرية من القرى جدير بأن يحولها إلى مدينة (الجولاني، 1997، ص 43 – 44).

ولقد ذكر جيرالد بيريز تعريفا للتحضر قال فيه: "إن التحضر عملية تغير كمي وكيفي معا تؤدي إلى تحولات كثيرة في خصائص وسمات ووظائف المجتمعات المحلية (المدن والبلدان)، كما يرى أن فهم تلك العملية يستدعي ضرورة عقد المقارنات المختلفة أو بين المراكز الحضرية المختلفة في البلد الواحد" (الضبع، 2003، ص 13).

ويرى "أموس هاولي" أن عملية التحضر تبدو من أكثر جوانبها وضوحا وكأنها عملية إطار سكاني متزايد التنظيم، وفوق ذلك فهي تشمل نوعا من العلاقات المتبادلة بين المكونات البنائية لذلك الإطار المكاني، والتي تظهر بوضوح عند حدوث التغير في أي منها وما يتبعه بالتأثير في متغيرات مقابلة في الوحدات الأخرى" (الضبع، 2003، ص 14).

أما "لورين نلسون" فيذكر في كتابه "القرية المودرن" أن كلمة التحضر مرادف لكلمة العلمانية التي تمتاز بالتقدم بمعدلات ريفية ووجود وسائل اتصال حديثة، وانتشار الخصائص الحضرية في المناطق الريفية وانخفاض عدد المزارعين، وسيادة النمط اللاشخصي في العلاقات بين الناس، وظهور المؤسسات المكلفة بتلبية حاجات الناس في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والترفيهية (عبد الفضيل، 2001، ص 154).

بينما ترى "روث سمز" أن التحضر عملية تغير اجتماعي معقدة تؤثر في البلاد بعامة، وتمتاز بخلق المراكز الحضرية الواسعة بالهجرة أو الإقامة المؤقتة والدائمة للعمال في المدن، مع تزايد عدد الناس المتدفقين من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية (القطان، 1979، ص 121).

ويقول "ساندورز": "إذا كان التحضر يعني نمو المدن في الحجم والأهمية مما يدعو بعض الناس إلى ترك الأرياف والتوجه إلى المدن وتكوين علاقات جديدة تسمح لهم باحتلال مراكز جديدة، فإن التحضر بمصطلحه الآخر urbanisation يعني بقاء الناس في قراهم وأخذهم بأساليب المدينة والتحضر وتقبلهم للنسق القيمي الحضري الذي يؤثر في نظرتهم نحو تدرجات المكانة الكائنة عندهم، مما يدعو إلى نبذ أدوارهم القديمة وحصولهم على أدوار جديدة" (فاعور، 2004، ص 87).

ويعرف "لويس ويرث" التحضر قائلا: "أنه مجموعة من النظم الاجتماعية والاتجاهات التي تتواجد عندما يتعايش الأفراد بصفة دائمة في جماعات كبيرة الحجم كثيفة السكان ومتميزة مهنيا" (بومخلوف، 2001، ص 142).

ويتضح مما سبق أن الاختلاف في التعريفات يرجع إلى اختلاف في آراء الباحثين ووجهة نظرهم للتحضر في كيفية دراسته والموضوعات التي يتناولونه فيها، ومع ذلك فإنهم قاموا بإلقاء الضوء بأشكال مختلفة على عملية التحضر مما يساعد على إثراءه وسرعة فهمه.

2. المداخل النظرية للتحضر:

هي تلك النظريات والمقاربات التي تبحث في أسباب ظهور المدن ونموها، وهنا نجد الباحثين يميزون بين مدن ما قبل الصناعة (ما قبل الثورة الصناعية) ومدن ما بعد الصناعة (بعد الثورة الصناعية)، باعتبارها مختلفة عن بعضها اختلافا كبيرا في البساطة، الحجم، البناء الاجتماعي والنشاط الاقتصادي (Henni, 1992, p 25)، ولهذا تبلورت في إطار هذه النظريات عدة مداخل نظرية لتفسير التحضر أهمها ما يلي:

أ. المدخل الاقتصادي:

تعتبر محاولة "شارلز كولي" في 1894م أول محاولة نظرية في تفسير نشأة وتطور المدن، ثم جاءت بعده محاولة "أدنا فيبر" في 1899م التي ركزت بدورها على الدور الاقتصادي لنشأة المدن مثل "كولي". وتنطلق النظرة الحديثة للتحضر في نطاق هذا المدخل من فرضية أساسية مفادها أن حركة السكان تابعة للنشاط الاقتصادي بحثا عن فرص العمل، ولهذا تتجه السياسات الحديثة نحو خلق مراكز نمو جديدة، مثل أقطاب نمو وتنمية ومدن ومناطق صناعية من أجل تحقيق إعادة هيكلة الخريطة السكانية والعمرانية للبلاد، حيث أن المستهلك شيء عادي يجلب اليد العاملة لمختلف الشرائح ويشتغل ضمن الأعمال الفوضوية، كما أن كل هذه النشاطات غير قابلة للتقييم.

لذا فسياسات التحضر تعتمد أساسا على سياسة توجيه التوطين الصناعي بهدف توجيه حركة السكان من أجل تعمير جهات معينة من الوطن، وتخفيف الضغط العمراني على جهات أخرى، حيث أن النشاط الاقتصادي هو النشاط الذي يبحث عن إشباع رغبة هدفها الوصول إلى منفعة بوسيلة رشيدة وعقلانية، ففي هذا المدخل ترتبط عملية التحضر بالتحول الاقتصادي بشكل رئيسي مستندا في ذلك على التجربة التاريخية للثورة الصناعية (Weber, 1982, p 54).

كما أن ظهور الصناعة قد أدى إلى جذب الآلاف من الأيدي العاملة من الأرياف والمراكز الحضرية البسيطة إلى المدن الصناعية الرئيسية، ويؤكد هذا المدخل على أن الأساس الاقتصادي هو المعيار المتحكم في نشأة المدن ومشكلاتها (بومخلوف، 2001، ص 59 – 60).

ب. مدخل التغير الاجتماعي:

لعل التحليل الذي قدمه ابن خلدون يعد أهم تحليل في هذا الميدان، والذي يربط التحضر بالتحول الذي يصيب نمط المعيشة وانتقالها من حالة الاعتماد على الضروريات إلى الاعتماد على الكماليات التي تستوجب ظهور الفنون والصناعات المختلفة التي تلبيها، والتي لا يمكن أن تتم إلا في المدن، معتمدا في تحليله على الاجتماع للتعاون على الاحتياجات السوسيو اقتصادية، ثم تحدث تطورات وتغيرات أخرى ناتجة عن هذا الاجتماع نفسه متمثلة في التراكم الاقتصادي الناتج عن التعاون، الذي يهدف إلى تحسين ظروف الحياة التي تؤدي بدورها للانتقال إلى نوع ثاني من نمط الحياة وهو النمط الحضري القائم على الكماليات وظهور المدن، وهذا بعدما كانت الحياة قائمة على الضروريات والبساطة في البادية.

أما التحاليل الحديثة التي تعتمد على عامل التغير الاجتماعي في تفسير ظاهرة التحضر، فترى بأن المركز الحضري ليس مجرد أعداد من السكان الذين تشدهم جملة من العوامل الاقتصادية، وإنما هو مركز التفاعلات والنشاطات الاجتماعية والثقافية ونواة لمفاهيم جديدة تتركز فيها النشاطات الثقافية كالجامعات والمعاهد والمؤسسات الترفيهية، وفيها تنتشر المعلومات والأخبار اليومية عن طريق الصحف والمجلات والتلفزيون، وتأخذ هذه المعلومات في إحداث التغييرات في المناطق المحيطة بها، فتجذب المدن الآلاف من السكان الباحثين عن التجديد في حياتهم والتخلص من الرتابة اليومية في الأرياف (جابي، الكنز، 1998، ص 37).

لذا فإن الرغبة في التغيير تكون إحدى العوامل المهمة في التحضر، حيث لا يمكن تحقيق ذلك إلا في المدن خاصة بعد أن غزت وسائل الاتصال في الأرياف والقرى وسهولة المواصلات والاتصال وانتشار التعليم الذي يجعل ذلك شيئا ممكنا بالنسبة للشباب الطموح (Lefebvre, 1974, p 124).

ج. المدخل السياسي - الإداري:

يركز هذا المدخل أساسا على العامل السياسي في التحضر، سواء كان الأمر يتعلق بدور الدولة في إنشاء وتخطيط المدن وتنظيمها، "وبوصفها مركزا للحكم فيها تتركز إدارات الدولة وبخاصة الشرطة، الضرائب، الخدمات الأساسية" (ابن خلدون، 1999، ص 150)، والتي يترتب عليها ظهور مراكز حضرية نتيجة لذلك باعتبار المدينة هي مركز الحكم والسلطة ومن ثم الإدارة، وما يرتبط من مصالح للسكان التي يتبعها تركز في النشاط، وهكذا يصبح التحضر حتمية أساسية. فالبعد السياسي للمدينة محدد بكونها مركزا فيها تتركز إدارات الدولة والأجهزة الرسمية المختلفة للدولة (Sari, 1996, p 6).

كما تتركز تبعا لذلك كثير من الأنشطة ذات الطابع الصناعي والتجاري والخدماتي، ومن ثم فإن التحضر يصبح تابع لجميع هذه العوامل (الوظيفة السياسية، الإدارية) للمدينة، وبذلك تعتبر هذه الوظيفة السياسية تمثل في كثير من الأحوال ركنا أصيلا في نشأة المدن ونموها وتطورها، فضلا من أنه يحول في الغالب دون محاولة زحزحتها من موقعها.

د. المدخل الديموغرافي:

يفسر هذا المدخل التحضر بناءا على التحولات السكانية سواء بسبب النمو الطبيعي أو بسبب حركة الهجرة التي تؤدي إلى تحول مناطق إلى تجمعات حضرية، ورغم أن هذا التحضر سببه الأساسي هو النمو السكاني بسبب الهجرة، إلا أن ذلك يعتبر مظهرا أكثر منه سببا، أي لابد من البحث في أسباب الهجرة، سواء كانت أسباب اقتصادية كظهور موارد اقتصادية معينة، أو سياسية كحروب وسياسات ترحيل السكان، أو كوارث طبيعية كالجفاف، ومن ثمة فإن دراسة الشباب من خلال علاقته مع الآخر ألا وهي السلطة، وكذا الاهتمام به لإنشاء سياسة خاصة بالتكوين والتعليم لهذه الفئة (الكردي، 1986، ص 65).

3. خصائص ومميزات الظاهرة الحضرية:

يعد نمط الاستقرار الحضري نمطا قديما ارتبط في الماضي بالإقامة داخل حدود أو حتى أسوار المدينة، من هنا فإن الحضارات القديمة عرفت وعلى اختلاف مناطق تواجدها نمط المعيشة في مدينة. إن طبيعة الحياة في المدينة تختلف عن تلك السائدة في البادية أو الريف، وظروف العيش في مدينة يفرض على الإنسان أساليب معينة للتعامل مع البيئة المحيطة به، وكذا مع الآخرين من أقاربه.

وقبل ابن خلدون وإلى اليوم اهتم المفكرون بمسألة المدينة وبالظاهرة الحضرية، ووظفوها في تفسير ظهور نمط أو أكثر من أنماط السلوك البشرية، فهذا "كارل ماركس" مثلا ينسب لمدينة القرون الوسطى تطوير نمط الإنتاج ليظهر فيما بعد التباين بين نمط الإنتاج الإقطاعي ونمط الإنتاج الرأسمالي، كما يحمل المدينة بصفة عامة والمدينة الأوربية في القرن التاسع عشر بصفة خاصة مسؤولية بروز الطبقات الاجتماعية، وخصوصا طبقة البروليتاريا ثم ظهور صراع الطبقات، وانتشاره ليصبح أهم عامل وراء التغيير الاجتماعي، وأهم عامل مؤثر في تحديد تاريخ مجتمع من المجتمعات.

وبصدد حديث ماركس عن المجتمع الجرماني في القرون الوسطى، يذهب إلى القول أنه مجتمع قروي، وأن المدينة عندما توجد ليست إلا محلا لإقامة الملك وبلاطه، وليس لديها أي أساس اقتصادي.

وما يميز المجتمع الجرماني في تلك الفترة أنه مبني على التفرقة والاستقلال الذاتي عن طريق تملك قطع صغيرة من الأرض، وكل وحدة عائلية تعيش بطريقة مستقلة من مزرعتها التي تكون مالكة لها، وتستغلها لإشباع حاجاتها (Rocher, 1968, p 44).

بينما يبرز "إيميل دوركهايم" دور المدينة في تحطيم نسق القيم التقليدية وظهور تقسيم العمل، ثن تدهور الأخلاق الناتج عن حالة تخلخل القيم الاجتماعية، في حين أن "ماكس فيبر" يبرز الدور الذي تلعبه مدينة القرون الوسطى، وعززته المدينة الحديثة المتمثلة في تغيير نمط العلاقات بين فئات المجتمع، وبروز فكرة المساواة والمواطنة، وتعزز روح العقلانية لتصير فيما بعد من أهم سمات حياة المدينة ومن أهم خصائص الحياة الحديثة بصفة عامة (التير، 1995، ص 10).

وإذا كان تنظيم المكان يحيل على التحضر، وهذا الأخير يحيل بدوره على سلوك متميز إزاء المكان، فليس معنى ذلك أن المكان في البادية ليس منظما، ذلك أننا نجد الخيمة في موقع، ونجد الكانون الذي هو موقد النار مثبت في مكان، ثم "الزريبة" التي تضم صغار الماعز على بعد مرمى حجر من الخيمة لما تحتاجه من عناية، إلا أن الفرق بين البادية والمدينة هو أن التحضر يصبح عبارة عن تنظيم خاص للمكان، يعتمد على تصور عقلاني مسبق، ويتميز هذا التصور بضرورته ووحدته باعتباره سلوكا يمكن أن يلاحظ في جميع الأماكن التي تتميز بخصائص معينة، وأن هذه الخصائص تزداد تطورا واستمرارا، في حين أن هذا التنظيم الوظيفي للمكان لا نلاحظه في البادية نتيجة لأسباب حضارية واقتصادية، ذلك أن المكان في البادية لا حدود له، فهو مكان عام وغير شخصي، في حين أن المكان في المدينة يكتسي أهمية كبيرة مع تطور ونمو المدينة، ولا أدل على ذلك من ارتفاع أثمان الأرض وإدخال اعتبارات جديدة عبر الزمان في تملك وتمليك الأرض.

. المدن الصحراوية: دواعي التحضروضرورة الاستقرار

1. مفهوم المدينة الصحراوية:

. المدينة لغة: مدن بالمكان أقام به، ومنه المدينة، وهي فعيلة، وتجمع على مدائن بالهمز، ومدن بالتخفيف والتثقيل، وفيه قول آخر: أنه مفعلة من دنت أي ملكت، قال ابن بري: لو كانت الميم في مدينة زائدة لم يجز جمعها على مدن.

. المدينة اصطلاحا: هي كل تجمع حضري ذو حجم سكاني يتوفر على وظائف إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية. وبالرغم من كثرة العلماء المهتمين بتعريف المدينة إلا أنهم لم يعطوا تعريفا واضحا لها، ذلك أن ما ينطبق على مدينة لا ينطبق على أخرى، لأنها عرفت باختصاصات متعددة حسب وجهة نظر كل عالم، فمنهم من فسر المدن في ضوء ثنائيات تتقابل بين المجتمع الريفي والحضري، ومنهم من فسرها في ضوء العوامل الإيكولوجية، ومنهم من تناولها في ضوء القيم الثقافية.

فالمدينة ظاهرة اجتماعية، وهي ليست مجرد تجمعات من الناس برأي "روبرت بارك"، بل هي اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد، وهي في النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن (السبتي، 2005، ص 123)، ولهذا السبب تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي المتميز. ويقول "لويس ويرث": "أن المدينة هي المكان الذي يحتوي على تجمعات هائلة من السكان، كما تقام فيه مراكز محددة تعمل على إشعاع الأفكار والممارسات التي تنمي أسلوب ونمط الحياة الحضرية الحديثة داخل المدينة... وهي كذلك المركز الذي تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهة في الأرض، وفيها أيضا ينفذ القانون الذي يطبق على كل الناس... وهي موطن أكثر اتساعا وكثافة لأفراد متغايرين اجتماعيا" (بومسهولي، 2006، ص 53).

يعرفها "مصطفى الخشاب" بقوله هي: "عبارة عن وحدة اجتماعية حضرية، محدودة المساحة والنطاق مقسمة إداريا، ويقوم نشاطها على الصناعة والتجارة، ويقل فيها نسبة المشتغلين بالزراعة، وتتنوع فيه الخدمات والوظائف والمؤسسات وتمتاز بكثافتها السكانية وسهولة المواصلات بها، وبتخطيط مرافقها ومبانيها، وتتميز فيها الأوضاع والمراكز الاجتماعية الطبقية" (الخشاب، 1982، ص 112).

ونستنتج من خلال ما سبق أنه لا يمكن تعريف المدينة من خلال التركيز على جانب واحد أو بُعد واحد، فنجد أن أهم محاولة في هذا الصدد كانت محاولة كل من "سور وكينوزيمرمان" في تحديد معنى ومفهوم المدينة، حيث استندا في تعريفهما على ثمانية معايير تتشكل منها المدينة وهي: البيئة، المهنة، حجم المجتمع، كثافة السكان، تجانس السكان، التنوع والتدرج، الحراك الاجتماعي، ونسق التفاعل (خليفة، 2010، ص 128)، ومهما اختلفت التعاريف وتنوعت المداخيل المنهجية في تعريف المدينة وتحديد خصائصها، إلا أنها في الأخير عبارة عن تجمع حضري، يضم مجموعة كبيرة من السكان غير متجانسين، ويتميز هذا التجمع بالتخطيط البارز في توزيع المرافق والخدمات وبسهولة المواصلات وبالتخصص الوظيفي وغيرها من خصائص الحياة في المدينة.

. **مفهوم المدينة الصحراوية:** اختلف العلماء في تحديد مفهوم للصحراء، فهناك من يرى أنها منطقة لا تسقط فيها الأمطار أكثر من 25 ملم سنويا، وهناك من يعتبر أن نوع التربة وأصناف النباتات أساس لتحديد المنطقة وتصنيفها، وهناك من يجمع بين النوعين حين يرى أن الصحراء هي كل منطقة قليلة النبات بسبب قلة الأمطار وجفاف التربة، ومعظم الأراضي الصحراوية تمتد بجوار مدار السرطان شمالا ومدار الجدي جنوبا، وتخضع للضغط المرتفع.

ومن خلال ما سبقت الاشارة إليه يمكن تحديد مفهوم للمدينة الصحراوية بوصفه مصطلحا متكاملا، على أنها تلك التجمعات العمرانية التي تقطنها كثافة سكانية معتبرة تجمعهم روابط مشتركة عادة ما يتسم بها المجتمع الحضري، وتقع ضمن حيز جغرافي ينأى بها عن البيئة الصحراوية القاحلة نظرا لما استحدث فيها من تغييرات جعلتها مواكبة لتطلعات المجتمع المتحضر.

2. دواعي التحضر وضرورة الاستقرار بالمدن الصحراوية:

مع مجيء الاستعمار ومع الخلل الذي أحدثه في نسق البداوة، 'لم تعد حياة الرعي تفي بحاجيات البدوي الصحراوي، لم يعد ذلك الوجود المكثف لأكبر القبائل الصحراوية التي تجوب المناطق خارج الحواضر دون خشية، لم يعد البدوي يفكر في تربية الماعز والأغنام، لأن الماء أصبح شحيحا في المساحات القريبة من الأرض، وأصبحت البوادي تعيش حالة من البؤس بمناطق تربية الأغنام أو تلك التي تربى فيها الإبل، كما اضطر عدد من البدو الرحل إلى الهجرة نحو المدن والحواضر.

لقد أحدث الاستعمار خللا متعدد الأشكال في النسيج الاجتماعي لسكان المنطقة، فحياة البدو الرّحل عرفت تغيرا عميقا وتصدّعات ناتجة عن الاستعمار ذاته، إن وضعية هؤلاء السكان (الذين بقوا على حالتهم البدوية) لم تكن أحسن من أولئك البدو الذين أقاموا بالحضر لمواجهة هذه الوضعية الجديدة، وهي الاستيلاء على أراضيهم من طرف الاستعمار، أو صعوبة التنقل التي فرضها عليهم، زيادة على السياسة الاستعمارية يوجد عدد من الأسباب التي أدت إلى التغير في نسق البداوة منها (الذهيبة، 1998، ص 86):

- الظروف المناخية الصعبة التي أثرت على نشاطات الفلاحة والرعي كالجفاف، وندرة مصادر المياه، وشح الأراضي الرعوية والتي كانت وراء نزوح عدد من البدو وسكان الواحات نحو المدن والحواضر الصحراوية، ناقلين معهم الكثير من خصائصهم وممارساتهم البدوية.
- الظروف الاجتماعية والثقافية التي كانت وراء رغبة العديد من البدو الرحل في الاستقرار بالحواضر والتي يمكن أن نلخصها في التعليم والصحة والخدمات الإدارية التي تقدمها المدينة، والتنمية والتصنيع، زيادة على فرص الدخل عن طريق العمل المأجور والتي تؤدي إلى تحسين الوضعية الاجتماعية لساكنة المدينة.
- ظهور بعض الامتيازات التي قدمتها الدولة لسكان الأرياف والواحات والحواضر كالدعم الفلاحي والقروض البنكية والمشاريع السكنية، مما رغب الكثير من البدو في العيش داخل الحواضر والقرى والاستفادة من هذه المزايا.
- ظهور وسائل النقل الحديثة ووسائل الاتصال الجماهيرية مما قلص المسافات وفك العزلة عن المناطق المتباعدة والتي كانت تعتمد سابقا على التنقل بواسطة الإبل والدواب، وهذا كان له دور في التسريع من عملية التنمية وظهور الأحياء الجديدة والزيادة في نمو الحواضر.

ومن بين نتائج ذلك كله نذكر ما يلي:

* الانتقال من حالة الترحال والتنقل لدى القبائل المختلفة إلى حالة الاستقرار القسري الذي نتج عنه هو الآخر وبدوره عدد من المشاكل في اكتظاظ بعض المدن الصحراوية، وما صاحبه من ارهاق وتفكيك في البنية القبلية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

* الانتقال من التجارة الكبرى المتنقلة والمرتبطة بالقوافل، إلى التجارة الصغرى (المستقرة) في الحواضر والمدن الصحراوية والتي تعتمد على التجزئة.

* التغير في البنية السياسية لدى القبيلة والمعتمدة على التراتب الهرمي برئاسة شيخ القبيلة الذي يساعده في مهامه مجلس القبيلة (أيت الأربعين) المشكل من ممثلي القبائل.

* الانتقال من الملكية الجماعية للأراضي الفلاحية والرعوية ووسائل الإنتاج، إلى الملكيات الفردية وشبه الجماعية.

* انقسام العائلة والتحول في نمط الأسرة من ممتدة إلى نووية، انعكس على الوحدة الاجتماعية المتميزة بالعصبية والتعاون، إلى التشتت وفقد الروابط الدموية والقرابية وتغييرها بروابط تعتمد أساسا على الأدوار الفردية والجماعية، والمصلحة.

* ظهور الأحياء المتخلفة في ضواحي الحواضر، مما تسبب في خلق مشاكل داخل النسيج العمراني انعكس على العلاقات الاجتماعية والقيم فظهرت الآفات الاجتماعية والانحلال الخلقي والفساد.

.مظاهر التحضر وانعكاساته الاجتماعية على المدن الصحراوية:

1. الحياة الاجتماعية بمدن الصحراء في ظل التحضر:

تؤثر البيئة الصحراوية في سكانها من حيث الوظائف الملائمة لها ولمواردها كالرعي، واستخراج الألبان ونسج الصوف وغزله وغيرها، إضافة إلى عملهم في النقل البري عن طريق القوافل من الإبل (الغربي، ص 132)، لكن مستجدات العصر الحديث وما تمخضت عنه ظاهرة العولمة التي فرضت مظاهر الحياة الحديثة بما تتضمنه من وسائل تقنية كمظاهر للتحضر على حياة أهل الصحراء فتح لهم مجالات واسعة للتعليم والانخراط في مختلف الوظائف، وقد تخلى كثيرون منهم عن تربية المواشي والإبل، فقد استخدموا السيارات والشاحنات بدل الإبل، ودخلت وسائل الاتصال الحديثة حياتهم، فاستخدموا الإذاعة والتلفزيون والهاتف، كما استخدموا السيارات المخصصة للمناطق الوعرة ليجوبوا بها الصحاري، واستفادوا من تقنيات سريعة التغير في المعلومات والأجهزة والبرامج.

إلا أن القيم السائدة لدى أهل الصحراء والدين يلقبون عادة بالبدو بقيت بطيئة التغير، كما بقيت العادات الاجتماعية المتعلقة بالأسرة والإنجاب والمرأة سائدة ومسيطرة، فالمسؤولية الجماعية للأسرة والقبيلة وما يرافقها من عادات كعادة الثأر مثلا قد تؤدي إلى انتقال الأسرة أو العشيرة كلها إلى ضواحي بعيدة تجنباً للثأر بسبب شيوع المسؤولية الجماعية (كمرا، 2009، ص 112)، لكن تلك العادات أخذت تتراجع إلى حد كبير بتأثيرات التقدم التقني، وأخذت تحل محلها عادات جديدة نتيجة استخدام التقنيات والآلات، وانتظام أعداد متزايدة من البدو في أطر منتظمة في نطاق الوظائف العمومية، إلا أن البدوي الذي أصبح يستخدم السيارة، والمذياع، والتلفاز، والهاتف، لا يزال الصراع لديه قائماً بين قيمه، وعاداته، وتقاليده، وتراثه، وماضيه، واعتزازه بذلك كله، وبين القيم الحديثة التي برزت نتيجة دخول المجتمعات البدوية عصر التقنيات الإلكترونية، وإن كان من السهل التعامل مع الوسائل المادية التي جلبتها الحضارة الحديثة، واستعمالها، فمن الصعوبة تبني ما يرافق هذه الوسائل من قيم وثقافة غريبة وطارئة على العقلية البدوية النمطية (Boughdadi, 1998, p 54).

2. التغير الاجتماعي للأسرة في المدينة الصحراوية في ظل راهن التحضر:

مدن الصحراء اليوم هي حضرية بالدرجة الأولى من خلال ما عرفه الجنوب من حركية عمرانية وتحولات اجتماعية، ولقد عرفت العائلة الصحراوية التقليدية تبعا لذلك تغيرات فرضتها الحياة المعاصرة في إطار ما يعرف بالعولمة والتحضر والتي أثرت على مختلف مظاهرها الاجتماعية، وهي تعد بمثابة عوامل دخيلة على المجتمع، إذ أن هناك نموذج للتربية في الأسرة الحديثة يختلف عن نظيره في الأسرة التقليدية من باب مسايرة التحضر والتطور في إطار العولمة، إذ أصبح الزوجان يهتمان برعاية الأولاد عن طريق إشرافهما مباشرة على تربيتهم دون المشاركة الجماعية للأقارب، وهذا دليل على ضعف نسقها القرابي، فأصبح كل فرد من أفرادها يتمتع بالحرية ويشارك في اتخاذ القرارات، إضافة الى عدم التفرقة بين الجنسين وانتهاج الآباء روح الديمقراطية الأسرية (فاروق، 1990، ص 20).

ولعل من أهم عوامل التغير لأسر هذه المدن أنها تأثرت بكل ما طرأ على مؤسسات المجتمع ونظمه من تحولات، وكذا مظاهر التحضر كالتغير في النشاط الصناعي، والعمراني، والاجتماعي، والمستجدات التكنولوجية، والاقتصادية، والفنية التي يصاحبها التغير الثقافي والاجتماعي والسلوكي للأفراد والجماعات، مما أدى الى ضعف دور الأسرة المعهود في بعض وظائفها وأساليب حياتها، فضعف النسق القرابي والتفاعل الاجتماعي بين أعضاء الأسرة أثر سلبا على مكانتها ودورها في الحياة الاجتماعية.

فاللاتجانس والتباين في الاتجاهات والتصورات وضعف العلاقات والروابط الأولية بل حتى ضعف الإجماع المعياري هي أهم المشاكل التي أثرت بطريقة واضحة على البناء الاجتماعي، كما أن الأسرة اليوم تعيش وضعا سيئا في العلاقات والبناء الأسري نتيجة انخفاض الوعي الأسري والذي يعتبره البعض ضعيف جدا، وكذا تلاشي للقيم الحقيقية التي يبنى عليها النسق الأسري التي ترى تدهورا للقيم والمبادئ والتصورات. وعموما فقد طرأت على المدن الصحراوية تحولات مهمة في ظل التحضر نذكر من بينها ما يلي:

. ما يؤكد حقيقة تغير المجتمع في المدينة الصحراوية أنه أصبح يعاني من الظواهر الاجتماعية نفسها التي تواجهها المجتمعات الأخرى غير الصحراوية، وذلك بتغير الطابع العمراني أولا واجتياح المرأة لعالم الشغل وانفراط عقد العائلة الكبيرة، حيث تضاءلت سلطة التحكم في القرار وانفرد كل فرد بشؤونه.

.انفتاح المجتمع الصحراوي في المدن الكبرى على عوالم افتراضية وأخرى ظهرت بفعل الاحتكاك والمخالطة وأهمها العودة من الهجرة، هذا النوع من التعايش مع الواقع الجديد أحدث تغييرا كبيرا في النظرة الاجتماعية نحو مختلف العلاقات سواء تلك التي ارتبطت بالمحيط الأسري أو تلك التي لها تأثير في مقومات المجتمع، حيث انحصرت تدريجيا سلطة العادات والتقاليد وقل الالتفات إلى ما يقتضيه الوازع الديني.

.ليست المثالية هي التي كانت تطبع حياة الأفراد في المجتمع الصحراوي، وإنما مقياس التغير يراعى بالنظر إلى التأقلم مع مستحدثات العصر، فالتطور فرض نفسه واستجاب له المجتمع الصحراوي، لأن البيئة الجغرافية قد توفر ما يلغي خصوصيتها ويجعلها طوع راهن الحداثة، فعوامل التنمية الاقتصادية ومظاهر التجديد الثقافي منحت للمجتمع في تلك المناطق رؤية مغايرة للواقع عما كان عليه الوضع في سنوات خلت، كما أن المطالبة بكماليات الحياة العصرية أضحى الشغل الشاغل لكل فرد في المدن الصحراوية يسعى للحصول عليها والاستفادة من مزاياها وخدماتها.

مواكبة المجتمع الصحراوي لمقتضيات التحضر مرتبطة بأساليب التواصل المعاصرة التي غزت كل بيت واستحوذت على رغبة كل فرد، فمثل هذه الوسائط أتاحت لجميع الناس فضاء جديد ومتغير لإنشاء علاقات أخرى بعيدة عن حاضرة المحيط الأسري، بل إن هذه العلاقات الجديدة أصبحت تهدد مستقبل الارتباط الأسري وكذا التواصل ضمن حيز دائرة المجتمع المتآلف بفعل ترسانة العادات والتقاليد التي بدأت تفقد سيطرتها في ظل تنامي المجتمع البديل الذي تنشئ علاقاته العوالم الافتراضية، وهذا ما لم يحجب عن أفراد المجتمع الصحراوي بوصفهم يحيون في هذه البيئات الافتراضية شأنهم في ذلك شأن بقية المجتمعات، فإن كانوا قد عايشوا التهميش والإقصاء سابقا نظرا لأسباب وعوامل مختلفة فما أطلعهم عليه وسائل التحضر والتقنية المعاصرة في التواصل دفعهم للانفتاح والتحرر من معوقات التقدم والتطور.

3. انعكاسات التغير الاجتماعي للأسرة بمدن الصحراء:

أ. على المستوى العائلي:

إن التغير الذي شهدته مراحل الحياة في هذه المناطق كانت له انعكاسات أثرت على مفهوم العائلة الموسعة ليحد من سلطتها لصالح الأسرة النواة، فبعد أن كان أفراد هذه المناطق يقيمون وزنا للعائلة الممتدة وإلى وحدة أفرادها من خلال العيش في منزل كبير، بات الأمر مستهجنا فأصبح الأفراد أكثر استقلالية في السكن وفي اختياراتهم، الشيء الذي نتج عنه تغير في دور العائلة التي لم تعد تلعب أدوارها التقليدية المتمثلة في تقرير مصير أبنائها، وقد تبع هذا الاستقلال في السكن استقلاليات من نوع آخر ليصبح هاجس شباب اليوم هو الرغبة في الانعتاق من قيود التبعية للعائلة، فكانت الهجرة إلى خارج حدود الوطن والزواج بأجنبية حلا من الحلول التي ارتآها شباب اليوم الذي يعاني من البطالة. فلم تعد العائلة هي المسؤولة الوحيدة عن تربية أطفالها، وبعد أن كانت هذه المسألة من مهام الجد والجدة فقط، أصبح للأب والأم إلى جانب المدرسة ووسائل الإعلام، دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي تكوين ثقافة الطفل وتنمية تفكيره وفي ربط علاقات جديدة خارج الاطار العائلي المحدود (ولد أباه، 2003، ص 175).

وقد نتج عن هذا التطور أن شيخ العائلة لم يعد يحظى بالمكانة نفسها التي كان يحظى بها في الماضي، ولم يعد المتفرد الوحيد بسلطة القرار سواء كان ذلك في مرحلة الخطوبة أو الزواج أو في اختيار أسماء لأحفاده، بل أصبح الأب والأم يتمتعان بهذه الحقوق خاصة بعد أن أرست الدولة نظاما جديدا يساوي بين الجنسين ويرفع من مكانة المرأة ويمكنها من التمتع بحقوقها، فلم تعد المرأة ذلك المخلوق الضعيف المضطهد من قبل الرجل سواء كان أبا أو زوجا أو أخا، بل أصبحت تساهم في اتخاذ قرارات تتعلق بأسرتها بعد أن تمتعت بحق التعليم الذي زادها ثقة في النفس، لتكتسح بفضله مجال العمل خارج المنزل وخارج حدود منطقتها وتشغل مناصب مهمة.

ب. على المستوى العلائقي:

لعل حلول الأسرة النواة مكان العائلة الممتدة نتج عنه تغير في شكل العلاقات بين الأسر والعائلات، فبعد أن كانت تلك العلاقات تتسم بالترابط والتماسك القبلي أو العشائري، أصبح ذاك الترابط آني وحيني ولا يتعدى بعض المناسبات الدينية أو الاجتماعية، ومن أشدها الزواج الذي يكون مناسبة لتجديد التماسك أو التكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة أو بين العائلات عبر تقديم بعض المساعدات المادية أو البدنية، لعل مثل هذه المناسبات تحافظ على الروابط الاجتماعية وتساعد على استمرارية الروابط العائلية الموسعة في عصر تتقلص فيه العلاقات القرابية لفائدة الأسرة النواة بحكم متطلبات الواقع الاقتصادي والاجتماعي الجديد، حيث تقسيم العمل وانفصال العمل عن السكن وخروج المرأة للعمل، وتمازج العقلية الشرقية بالعقلية الغربية عبر الهجرة الدولية (الدحمي، 2007، ص 193).

لذلك تكون مثل هذه المناسبات فرصة للتلاقي والتآزر ولمّ الشّمل، كما أن حدث الموت يعد حدثا عظيما تزول فيه كل أشكال الخلافات والصراعات وكل أشكال الفوارق الاجتماعية من أجل مساعدة أهل الميت ومواساتهم، بل يعتبره الكل واجب ديني عليهم القيام به.

التحولات العمرانية بالمدن الصحراوية: ديناميكية متسارعة وواقع تعمير جديد.

تعتبر المدينة ظاهرة قديمة جدا، فقد كانت المدن في البداية مراكز دينية وإدارية للتجمعات الريفية ظهرت نتيجة لتطور القوى العاملة التي عملت في الحرف التقليدية المختلفة، إذ كانت المدن في القديم أماكن لتجمع الحرفيين والمهنيين الذين كانوا يلبون حاجات الحاكم والطبقة الأرستقراطية بصفة خاصة، بالإضافة الى المبادلات التجارية مع سائر المدن، ومن جهة أخرى كانت المدينة مركزا زراعيا لعناية السكان بالاستثمار الزراعي. لقد تمايزت المدن القديمة كما الحديثة بحسب بيئتها الجغرافية ومناخها ونظمها وأنماط العيش فيها، وارتبطت نشأتها بعوامل اقتصادية وسياسية، إذ تطلب تمركز السكان في منطقة واحدة إلى ضرورة وجود سلطة مركزية تنظم العلاقات بين الناس، كما نشأت المدن لضرورة دفاعية، فاضطر الناس إلى التجمع في مناطق محصنة على شكل قلاع لحمايتهم.

كما تبلورت المدينة نتيجة لهذه العوامل مجتمعة متبادلة التأثير فيما بينها، إذ أصبحت المدينة نفسها ذات آثار واضحة في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فحظيت باهتمام العلماء والمفكرين في تخصصات عدة، فكانت هناك أسس لتوجهات فكرية ظهرت في شكل تيارات أو فلسفات حول المدينة اشتركت في نقدها وثورتها على المدينة الصناعية، وقد اشتهر تياران دعا الأول إلى انتقاد المدينة الصناعية لزوال الهياكل العضوية للمدن التقليدية منها وترقب الحلول في استرجاع قيم التاريخ والثقافة والماضي، وقد عرف هذا التيار بالتيار الثقافوي، كما انتقد التيار الثاني والذي عرف بالتيار الطبيعي غياب الطبيعة في المدن الصناعية. هذا ومثلت مدن الصحراء فضاء هوياتيا خاصا تبادل التأثر والتأثير مع البيئة المحيطة به، اذ نجم عن التعمير الحديث لمناطق الجنوب صور مشوهة للعمران واحتلال عشوائي للفضاءات، مما جعل المدينة الصحراوية فاقدة للهوية العمرانية الأصلية، وهو ما جعل تراثها المعماري والثقافي يتعرض لخطر الضياع، ويواجه خطر التعرض للتشويه والتدمير بما نقل إليه من عمارة غريبة بعيدة عن موروثنا التراثي الثقافي والاجتماعي (لمام، 2011، ص 320).

إن الحديث عن المدينة الصحراوية هو حديث عن المجتمع المحلي الصحراوي بكل مكوناته ومميزاته وخصائصه الحضارية الضاربة في عمق التاريخ، لأن المدينة هي كيان ذو أبعاد عمرانية وسوسيولوجية واقتصادية وثقافية، في حين أن المجتمع هو نظام من العلاقات الاجتماعية

يؤثر ويتأثر بهذا الكائن الفيزيقي، لقد تكونت المدينة الصحراوية في الماضي من قبائل كثيرة وبدو ورحل استوطنوا في المنطقة نتيجة الحياة الغير مستقرة آنذاك، وقد كون هؤلاء الساكنون تراثا ثقافيا وعادات وتقاليد وآداب للسلوك وأنماط معيشية مميزة ومتوارثة.

ومن أبرز التحولات العميقة التي شهدتها المدن الصحراوية بجنوب المغرب منذ مطلع القرن العشرين ولا زالت تشهدها إلى اليوم وهي ظاهرة الحركة المجالية للتعمير، الظاهرة التي أحدثت نطاقات جديدة في النسيج العمراني للمنطقة، هذا الواقع الجديد يعود أساسا إلى الديناميكية العمرانية المتسارعة التي تعكسها تدخلات الدولة من خلال المشاريع الوطنية التنموية والبرامج السكنية، والتي جاءت كاستجابة لوتيرة النمو السكاني السريعة وتفعيلا للديناميكيات المحلية بعد تنامي الحاجة للسكن، مع الانفتاح على العالم الخارجي وتحسن الأوضاع المعيشة للسكان، وتفكك الأشكال التقليدية للتمايز الطبقي بينهم.

إذ تعكس التوسعات العمرانية وتيرة النمو التي تشهدها التجمعات السكانية نتيجة تظافر عدة عوامل اقتصادية، تنظيمية وبشرية في آن واحد، فإلى حدود فترة الاستعمار شكلت البنايات القديمة خاصة الخيام المجال الرئيسي للسكن بهذه المناطق، وكان هذا المكان ملائما للسكن بهذه الأوساط البيئية بشكله وهندسته وموقعه، لكن بدأ التحول المورفولوجي للسكن داخل هذه المدن، فأغلب المساكن القديمة أصبحت شبه مهجورة بدعوى عدم تكيفها مع متطلبات العصرنة أو هشاشتها، فأصبحت ضرورة تغيير المسكن من التقليدي إلى الحديث الأكثر رفاهية والأكثر اتساعا، كما تم تغيير مواد البناء (الطين والطوب) بالإسمنت مع ظهور أشكال جديدة للمساكن بأنماط عمرانية دخيلة (ثياقة، 2006، ص 121).

كما أن تأثر مورفولوجية المدينة الصحراوية بعامل التحضر حتمية أملتها مقومات الحداثة، ورغبة الأسرة في إضفاء طابع العصرنة على المسكن الذي يعتبر أهم مقومات حياتها، هذه التغييرات الفردية أسهمت في تغيير الشكل العام للمدينة، كما ساعدت على هجرة المساكن القديمة التي احتضنت في ماض قريب حياة لها أسلوبها وخصوصيتها (بن يوسف، 1992، ص 56).

وتجدر الاشارة إلى أن المساكن في مدن الجنوب قد خضعت لتأثيرات وتغيرات نتيجة التطور الثقافي الذي ساد عبر أجيال متلاحقة حتى أنه قد أصبح للمسكن قصة تاريخية، ومن ثمّ أصبحت المساكن تبنى بطريقة تمكّنها من دخول الهواء البارد المنعش في فصل الصيف وتقاوم تعرضها لأشعة الشمس والرياح والأمطار في فصل الشتاء.

كما أن الميل للبناء العصري لا يقتصر على هندسة بناء المسكن فقط، بل يمكن أن يتعدى ذلك إلى اختيار مواد البناء، حيث أصبحت المساكن تبنى من الحجر الخام والآجر بعد أن كانت تبنى من الطين أو شجر النخيل، وبعد أن كانت الأسقف لا تغطي كامل البيت أصبحت اليوم تغطّي كامل أجزائه، كما لم تعد الحجارة القديمة هي المستعملة في البناء، بل أصبحت هذه الحجارة تدخل المصانع لإعادة صنعها واستخراجها أحيانا، وعوضت بالآجر أحيانا أخرى. وقد تميزت هذه المساكن بحرية التقسيم الداخلي حسب حاجة الأفراد وطريقتهم في السكنى ومتطلباتهم الإنسانية، حيث أصبح ساكن هذه المناطق يحبّذ بيت الرّاحة وسط المنزل، ولم يعد يفضلها خارج المنزل مثلما كانت عليه في السابق.

خاتمة:.

إذا كنا لا نختلف في أن للتحضر آثار وانعكاسات مختلفة تشمل الأبعاد الاقتصادية، الاجتماعية، المجالية، البيئية، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نرجع مجموع الاختلالات والمشاكل التي تعاني منها المدن الصحراوية إلى التحضر كعامل مستقل مفسر لباقي الظواهر الاجتماعية الأخرى، فنكون إما في إطار رؤية إيديولوجية ضيقة، أو في أحسن الأحوال أمام تفسير عاملي يرجع واحدا في حدوث الظاهرة وينفي عاملا أو عوامل أخرى قد تكون حاسمة في نشأتها وتطورها. فما يؤكد حقيقة تغير المجتمع في المدينة الصحراوية أنه قد أصبح يعاني من الظواهر الاجتماعية نفسها التي تواجهها المجتمعات الأخرى غير الصحراوية وذلك بتغير الطابع العمراني أولا، واجتياح المرأة لعالم الشغل وانفراط عقد العائلة الكبيرة، حيث تضاءلت سلطة التحكم في القرار وانفرد كل فرد بشؤونه، يتصرف فيها كيف ما بدا له.

كما أن انفتاح المجتمع الصحراوي في المدن الكبرى على عوالم افتراضية وأخرى ظهرت بفعل الاحتكاك والمخالطة وأهمها العودة من الهجرة، هذا النوع من التعايش مع الواقع الجديد أحدث تغييرا كبيرا في النظرة الاجتماعية نحو مختلف العلاقات سواء تلك التي ارتبطت بالمحيط الأسري أو تلك التي لها تأثير في مقومات المجتمع، حيث انحصرت تدريجيا سلطة العادات والتقاليد وقل الالتفات إلى ما يقتضيه الوازع الديني، ويظهر هذا التباين الذي يكشف عن نسبة التغير حينما نقارن واقع المجتمع الصحراوي اليوم بما كان عليه خلال مرحلة البداوة.

إن مواكبة المجتمع الصحراوي لمقتضيات التحضر مرتبطة بأساليب التواصل المعاصرة التي غزت كل بيت واستحوذت على رغبة كل فرد، فمثل هذه الوسائط أتاحت لجميع الناس فضاء جديد ومتغير لإنشاء علاقات أخرى بعيدة عن حاضرة المحيط الأسري، بل إن هذه العلاقات الجديدة أصبحت تهدد مستقبل الارتباط الأسري وكذا التواصل ضمن حيز دائرة المجتمع المتآلف بفعل ترسانة العادات والتقاليد التي بدأت تفقد سيطرتها في ظل تنامي المجتمع البديل الذي تنشئ علاقاته العوالم الافتراضية، وهذا ما لم يحجب عن أفراد المجتمع الصحراوي بوصفهم يحيون في هذه البيئات الافتراضية شأنهم في ذلك شأن بقية المجتمعات، فإن كانوا قد عايشوا التهميش والإقصاء سابقا نظرا لأسباب وعوامل مختلفة فما أطلعهم عليه وسائل التحضر والتقنية المعاصرة في التواصل دفعهم للانفتاح والتحرر من معوقات التقدم والتطور.

يضاف إلى ذلك أن تأثر مورفولوجية المدينة الصحراوية بعامل التحضر حتمية أملتها مقومات الحداثة، ورغبة الأسرة في إضفاء طابع العصرنة على المسكن الذي يعتبر أهم مقومات حياتها، هذه التغييرات الفردية أسهمت في تغيير الشكل العام للمدينة، كما ساعدت على هجرة المساكن القديمة التي احتضنت في ماض قريب حياة لها أسلوبها وخصوصيتها.

زيادة على الإكراهات المجالية المرتبطة بالتثبيت والاستقرار لقبائل الصحراء، نجد أن العوامل الطبيعية وخاصة المناخية منها كالجفاف والتصحر، ساعدت في تخلي عدد من القبائل البدوية الصحراوية عن حياتها التقليدية ومحاولة التوجه نحو الحواضر لممارسة حياة عصرية في ظل التنمية والتطور التكنولوجي والصناعي، والذي كان بدوره عاملا آخرا من عوامل جذب البدو إلى الاستقرار بالمجمعات الحضرية،

متضافرا مع الحالة الثقافية الاجتماعية المتمثلة في الإقبال على التعليم والصحة والامتيازات التي توفرها المدينة، هذه الأخيرة التي وجدت نفسها تتأرجح بين نسق البداوة ومؤشرات الهوية التقليدية من جهة، ومن جهة أخرى بين متطلبات الحياة العصرية، ذلك أن عددا من النازحين من الأرياف والبوادي حملوا معهم ثقافتهم التقليدية بخصائصها وممارساتها إلى المدينة، فتضخمت المدن والحواضر وظهرت الأحياء العشوائية، وتفككت الروابط التي كانت في السابق تعتمد على القرابة والصلة الدموية، مما ترتب عنه خلل متعدد الأوجه، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا، وانعكس سلبا رغم بعض الإيجابيات على جميع مناحي الحياة الحضرية.

.البيليوغرافيا:

.إحسان محمد الحسن. (1999). **موسوعة علم الاجتماع**. بيروت.

.الشناوي أحمد عبد الموجود. (2008). **الهوية الثقافية للمجتمع البدوي: دراسة أنثروبولوجية للثقافة البدوية المتغيرة**. الطبعة الأولى القاهرة. دار مصر المحروسة.

.المساوي الذهيبة. (1997 . 1998). **التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الصحراء**. بحث لنيل الإجازة في التاريخ. الدار البيضاء. كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، جامعة الحسن الثاني.

. بن محمد ناصر محمد بباه. (2006 . 2007). **من أزمة البادية إلى التحضر الفوضوي في موريتانيا: نواكشوط نموذجا**. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا. الرباط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس أكدال.

.بوشنفاتي بوزيان. (1988). **في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب: دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح**. الحوار الأكاديمي والجامعي. المحمدية. دار الخطابي.

.ثياقة الصديق. (2006). **النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية**. مذكرة ماجيستير في علم الاجتماع. الجزائر. جامعة وهران.

.رحمة بورقية. (1991). **الدولة والسلطة والمجتمع: دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**. الطبعة الأولى. بيروت. دار الطليعة.

. عبد الأحد السبتي. (2004 . 2005). **المدينة والمجال في الكتابة التاريخية التقليدية: محاولة توطين إشكالية أمن الطرق**. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ. الرباط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس أكدال.

.عبد الرحمان ابن خلدون. (1999). **المقدمة**. بيروت. دار النشر للتوزيع والطباعة.

.عبد الرؤوف الضبع. (2003). **علم الاجتماع الحضري**. الإسكندرية. الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

.عبد العزيز بومسهولي. (2006). **المدينة والمعرفة أو الفضاء المشترك لتدبير التفكير ووقت العيش**. مجلة فكر ونقد، السنة التاسعة، العدد 82، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.

.عبد القادر خليفة. (2010). **من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة**. مجلة العلم الإنسانية، العدد الأول، الجزائر.

.عبد المنعم شوقي. (1981). **مجتمع المدينة**. بيروت. دار النهضة العربية.

.عبد الناصر جابي، علي الكنز. (1998). **المجتمع والدولة في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة: المغرب العربي**. القاهرة. مكتبة مدبولي.

.علي فاعور. (2004). **آفاق التحضر العربي**. بيروت. دار النهضة العربية.

.فادية عمر الجولاني. (1997). **علم الاجتماع الحضري**. مصر. مركز الإسكندرية للكتاب.

.فاروق مصطفى اسماعيل. (1990). **التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي**. الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

.كمرا الشيخ موسى. (2009). **تاريخ قبائل البيضان: عرب الصحراء الكبرى**. تحقيق حماه الله ولد السالم. الطبعة الأولى. بيروت. دار الكتب العلمية.

. محمد الدحمي. (2006 . 2007). **مقاربة سوسيو أنثروبولوجية لمجتمعات البدو: سكان الصحراء نموذجا**. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام. الدار البيضاء. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق. جامعة الحسن الثاني.

.محمد المختار ولد أباه. (2003). **ثقافة الصحراء من خلال مقوماتها المغربية لدى العلماء**. سلسلة ندوات ثقافة الصحراء. الرباط. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

.محمد الغربي. **الساقية الحمراء ووادي الذهب**. الجزء الثاني. الدار البيضاء. دار الكتاب.

.محمد بومخلوف. (2001). **التحضر**. الجزائر. دار الأمة للطباعة والنشر.

.محمد بومخلوف. (2001). **التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة**. الجزائر. شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

.محمد بومخلوف. (1999). **دراسات في المجتمع العربي المعاصر: التحضر وواقع المدن العربية**. تحرير خضر زكرياء. دمشق. الأهالي للطباعة والنشر.

.محمد شرقي. (2009). **التحولات الاجتماعية بالمغرب: من التضامن القبلي إلى الفردانية**. الدار البيضاء. أفريقيا الشرق.

.محمد عبده محجوب. **مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية: منهج وتطبيق**. الطبعة الثانية. الكويت. وكالة المطبوعات.

.محمد علي القطان. (1979). **دراسة المجتمع في البادية والريف والحضر**. مصر. دار الجيل.

.محمود الكردي. (1986). **التحضر: دراسة اجتماعية القضايا والمناهج**. الجزء الأول. القاهرة. دار المعارف.

.محمود عبد الفضيل. (2001). **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي**. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

.محي الدين صابر. لويس كامل مليكه. **البدو والبداوة: مفاهيم ومناهج**. د.ت. بيروت.

.مريم لمام. (2011). **العمارة الصحراوية وأنماطها الاجتماعية: دراسة سوسيو أنثروبولوجية**. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، جامعة غرداية، الجزائر.

.مصطفى الخشاب. (1982). **الاجتماع الحضري**. القاهرة. الطبعة الثانية. مكتبة الأنجلو المصرية.

.مصطفى عمر التير. (1005). **اتجاهات التحضر في المجتمع العربي**. الدار البيضاء. منشورات المؤسسة العربية للنشر والإبداع.

.مكي الجميل. (1962). **البداوة والبدو في البلاد العربية: دراسة لأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ووسائل توطينهم**. سرس الليان. مركز تنمية المجتمع في العالم العربي.

.ظاهر مسعود. (1986). **المشرق العربي المعاصر: من البداوة إلى النفط**، الطبعة الأولى. بيروت. معهد الإنماء العربي.

. ابراهيم بن يوسف. (1992). **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**. الجزائر. مطبعة أبو داوود.

*. A. Henni. (1992). **Essayé sur l'économie parallèle: cas de l'Algérie**. Alger. E.P.U.*

*. Aubin. F. (1974). **Anthropologie du nomadisme**. Cahiers international de sociologie. Volume LVI.*

*. D. Sari. (1996). **Le poids de la démographie dans le tourmente algérienne**. Rapport de recherche N° 1. Paris. C.E.P.E.D.*

*. Guy Rocher. (1968). **Introduction à la sociologie générale**. L'organisation sociale. Editions H.M.H.*

*. Henri Lefebvre. (1974). **Production de l'espace**. 4ème Anthropos. Paris.*

*. Lehuraux Cpne. (1930). **La Transhumance des nomades des territoires du Sud vers le haut tell**. Congrès de la Colonisation rurale d'Alger.*

*. Masqueray. E. (1894). **Souvenirs et visions d'Afrique**. Paris.*

*. Max Weber. (1982). **La ville**. Paris. Mantaige.*

*. Mohamed Boughdadi (1998) **Le passé et la présent Marocains du Sahara: Avec textes, documents et citations à l'appui**. Casablanca. Edition Maroc – soir.*